روِيكُ
ثَـعْلَبُ الرِّمالِ



قصة: أَرْوى الثُّنَيّانِ
رسوم: حسام حسن

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

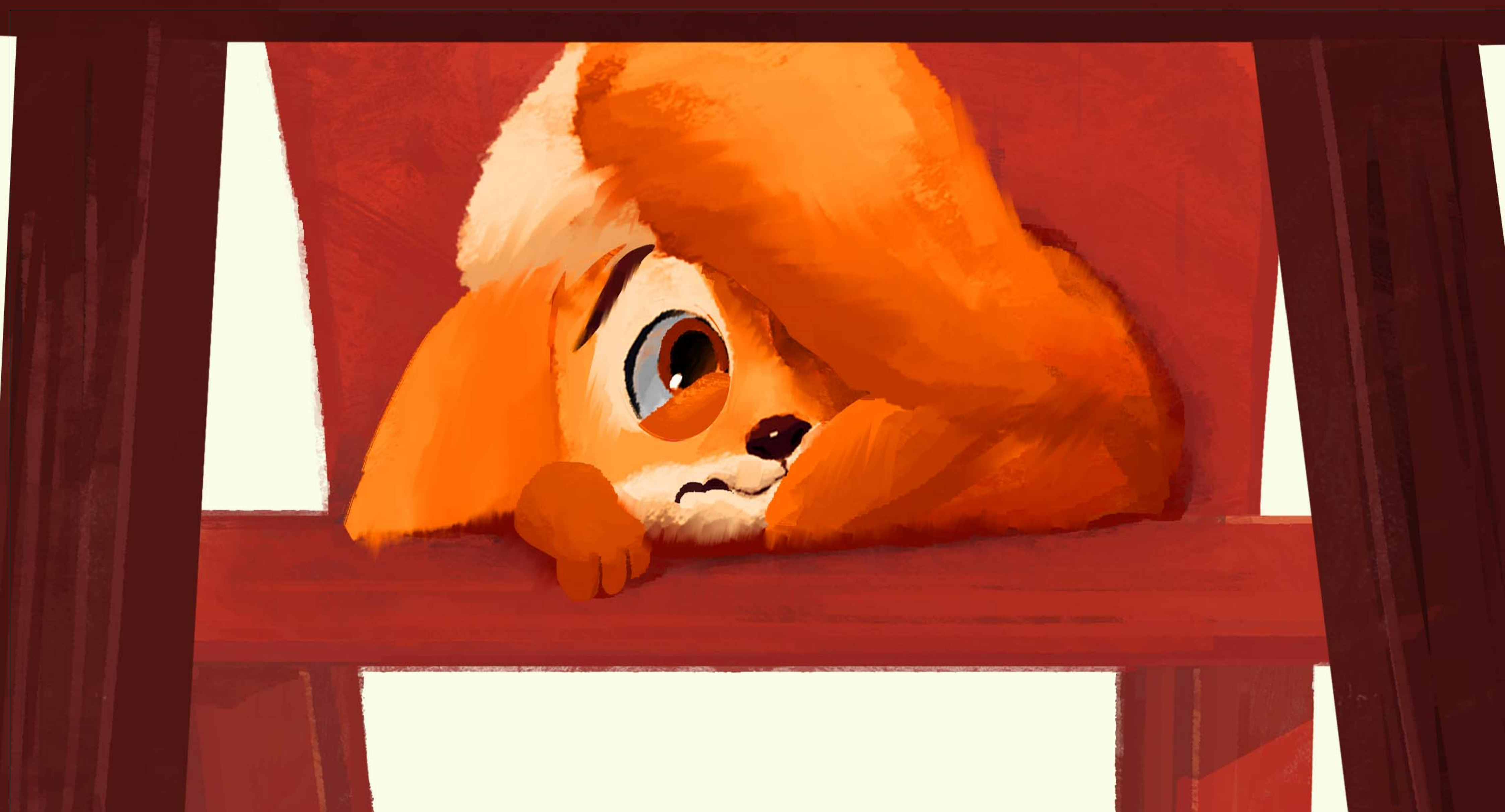
World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT

لَمْ تَكُنِ الْأُمورُ في مَدْرَسَةِ التِّلالِ اللَّيْلِيَّةِ تَسيرُ عَلى ما يُرامُ.





تَكَوَّرَ ثَعْلَبُ الرِّمالِ (روبِلُ) في مَقْعَدِهِ،

وَمَعَ كُلِّ اقْتِرابٍ لِنِهايَةِ الدَّوامِ، كانَ خَفَقانُ قَلْبِهِ يَزْدادُ؛

تُرى أَسَيَأْخُذونَ طَعامَهُ الْيَوْمَ أَيْضًا؟

وَبِالْفِعْلِ حَدَثَ ما كانَ يَخْشاهُ روبِلُ؛ فَقَدْ وَجَدَ الثَّعالِبَ الْحَمْراءَ تَنْتَظِرُهُ أَمامَ بابِ الْمَدْرَسَةِ.

كانَ حَجْمُ روبِلَ ضَئيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ؛ فَكانَ يَبْدو كَالقِطِّ الْواقِفِ أَمامَ النُّمورِ،

وَكانَ يَعْلَمُ بِأَنَّ لَكْمَةً واحِدَةً مِنْهُمْ سَتُطيحُ بِهِ بِضْعَةَ أَمْتارٍ.





لِذا، لَمْ يُحَرِّكْ ساكِنًا وَلَمْ يُصْدِرْ أَيَّ صَوْتٍ. قالَ أَحَدُهُمْ:
"كَيْفَ حالُكَ الْيَوْمَ أَيُّها الْهَزيلُ؟". بَعْدَها شَدّوا حَقيبَتَهُ مِنْهُ
وَأَخْرَجوا مِنْها حِصَّةَ الطَّعامِ الَّتي خَبَّأَها فيها
ثُمَّ مَزَّقوها وَرَمَوْها في الْهَواءِ.



وَقَبْلَ أَنْ يَرْحَلوا، اقْتَرَبَ مِنْهُ الثَّعْلَبُ الْأَكْبَرُ بَيْنَهُمْ.

قالَ لِروبِلَ: "تَسْتَطيعُ أَنْ تَأْكُلَ حِصَّتَكَ في الْمَدْرَسَةِ،

وَلكِنَّكَ غَبِيٌّ بَليدٌ تَتْرُكُها في الْحَقيبَةِ كَيْ نَأْخُذَها مِنْكَ".



جَرَّ روبِلُ حَقيبَتَهُ الْمُمَزَّقَةَ وَعادَ إِلى الْبَيْتِ،
نَظَرَتْ أُمُّهُ في عَيْنَيْهِ وَقالَتْ: "فَعَلوها الْيَوْمَ أَيْضًا،
أَلَيْسَ كَذلِكَ؟". لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ،
بَلْ أَجْهَشَ بِالْبُكاءِ وَارْتَمى بَيْنَ أَحْضانِها.

وَهكَذا مَرَّ يَوْمٌ آخَرُ عَلى روبِلَ وَأُمِّهِ
بِلا طَعامٍ؛ فَالثَّعالِبُ الْحَمْراءُ الْكَبيرَةُ
تَسْتَوْلي عَلى كُلِّ دَجاجِ الْقَرْيَةِ،
وَأَبْناؤُها تَسْتَولي عَلى حِصَّةِ روبِلَ
الْمُقَدَّمَةِ لَهُ في الْمَدْرَسَةِ.





قالَتِ الْأُمُّ: "سَأَذْهَبُ مَعَكَ وَسَنَشْكوهُمْ لِلْمُديرِ مَرَّةً أُخْرى".



أَطْرَقَ روبِلُ رَأْسَهُ وَقالَ: "سَيَقولُ ما يَقولُهُ كُلَّ مَرَّةٍ:
"في مَدْرَسَةِ التِّلالِ يَنْتَصِرُ الْأَقْوى". عَقَّبَتْ عِنْدَها الْأُمُّ:
"إِذَنْ، فَلا خِيارَ آخَرَ أَمامَنا".





لَمْ يَكُنْ وَداعُ الْبَيْتِ الَّذي قَضى روبِلُ فيهِ طُفولَتَهُ سَهْلًا،
لِكنَّهُ لا يُريدُ أَنْ يُصْبِحَ هَزيلًا أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ بِسَبَبِ الْجوعِ؛
فَالْحَشراتُ وَجُذورُ النَّباتاتِ الَّتي كانَتْ تَجْمَعُها أُمُّهُ بِالْكادِ تُقيمُ الْأَوَدَ.
مَشى روبِلُ وَأُمُّهُ في طَريقٍ صَخْرِيَّةٍ وَعِرَةٍ، وَصَعِدا تِلالًا رَمْلِيَّةً،
وَظَلَّ روبِلُ يُفَكِّرُ طَوالَ الطَّريقِ في شَكْلِ الْبَيْتِ الْجَديدِ وَالْمَدْرَسَةِ الْجَديدَةِ.



كانَ الْمَنْزِلُ الْجَديدُ ضَيِّقًا وَمُشْبَعًا بِالْماءِ، لِذا كانَ روبِلُ مُحْبَطًا.

وَدَّعَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ ذاهِبٌ إِلى الْمَدْرَسَةِ، فَقالَ:

"أَرْجو أَنْ تكونَ الْمَدْرَسَةُ أَفْضَلَ حالًا مِنْ مَدْرسَتي الْقَديمَةِ".

وَفي مَدْرَسَةِ الرِّمالِ الْجَديدَةِ، كانَتِ الْمُفاجَأَةُ!

كانَ أَغْلَبُ الطُّلّابِ مِنْ قِطَطِ الرِّمالِ، وَكانوا لُطَفاءَ جِدًّا. لكِنَّ الْأَهَمَّ مِنْ ذلِكَ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ خالِيَةٌ مِنَ الثَّعالِبِ الْحَمْراءِ.

وَعِنْدَما حانَ وَقْتُ الْغَداءِ...



قَدَّموا لِكُلِّ طالِبٍ ثَلاثَ دَجاجاتٍ.

فَرَكَ روبِلُ عَيْنَيْهِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ! اِلْتَهَمَ دَجاجَةً بِلُقْمَةٍ واحِدَةٍ وَخَبَّأَ دَجاجَتَيْنِ لِيَأْكُلَهُما مَعَ أُمِّهِ في الْبَيْتِ.





قَضى روبِلُ في مَدْرَسَتِهِ الْجَديدَةِ حَياةً لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِها؛ كانَ جَميعُ الطُّلّابِ يُحِبُّونَهُ، وَصارَ لَدَيْهِ الْعَديدُ مِنَ الْأَصْدِقاءِ،
إلّا أَنَّ الْقِطَّ هارونَ كانَ الْأَقْرَبَ إِلى روبِلَ، أَخَذا يَدْرُسانِ وَيَلْعَبانِ مَعًا.
وَفي يَوْمٍ مِنَ الْأَيّامِ حَدَثَ ما لَمْ يَكُنْ في الْحُسْبانِ.





قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ روبِلُ إِلى فَصْلِهِ، اصْطَدَمَ بِقَوائِمَ حَمْراءَ كَبيرَةٍ.
رَفَعَ رَأْسَهُ فَرَآهُمْ يَبْتَسِمونَ ابْتَسامَتَهُمُ الْماكِرَةَ.



لِسوءِ الْحَظِّ، كانَتْ مَدْرَسَةُ التِّلالِ بِحاجَةٍ إِلى إِصْلاحاتٍ دَوْرِيَّةٍ، فَنُقِلَ جَميعُ طُلّابِها مُؤَقَّتًا إِلى مَدْرَسَةِ الرِّمالِ. تَجَمَّدَ روبِلُ في مَكانِهِ وَهُوَ يَسْمَعُ عِبارَةً تَقولُ:

"ها أَنْتَ مُجَدَّدًا أَيُّها الضَّئيلُ الضَّعيفُ!".

وَقَبْلَ أَنْ يُمْسِكَهُ ثَعْلَبٌ أَحْمَرُ مِنْ رَقَبَتِهِ، تَقَدَّمَ الْمُعَلِّمُ وَطَلَبَ مِنَ الْجَميعِ الِانْصِرافَ إِلى أَماكِنِهِمْ.



تَنَفَّسَ روبِلُ الصُّعَداءَ قَليلًا، لكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ بِأَنَّ أَيّامًا عَصيبَةً سَتَعودُ لِمُواجَهَتِهِ.

لاحَظَ هارونُ الْقَلَقَ في عَيْنَيْ صَديقِهِ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ وَقال: "لَنْ يَهْزِمونا يا صَديقي".

اِنْطَلَقَ الرَّفيقانِ كَالسَّهْمِ بَعْدَ انْتِهاءِ الدَّوامِ، وَصَعِدا تَلَّةً بَعيدَةً.
أَطْرَقَ روبِلُ رَأْسَهُ، وَقالَ: "لا أُريدُ أَنْ أَنْتَقِلَ إِلى مَكانٍ آخَرَ".
قالَ هارونُ: "دَعْنا نُفَكِّرْ بِطَريقَةٍ تَجْعَلُهُمْ يَهابونَنا".
هُنا، لَمَعَتْ في رَأْسِ روبِلَ فِكْرَةٌ!





لَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ رَأى الثَّعالِبَ الْحَمْراءَ ذاتَ مَرَّةٍ تَلْكُزُ
الظَّرِبانَ بِعودٍ خَشَبِيٍّ، فَما لَبِثَ أَنْ أَصْدَرَ
رائِحَةً كَريهَةً جَعَلَتْها تَهْرُبُ لا تَلْوي عَلى شَيْءٍ.

وَفي بَيْتِ روبِلَ، فَتَحَ الصَّديقانِ كِتابَ الْكيمْياءِ وَراحا يُجَرِّبانِ صُنْعَ الْمُرَكَّباتِ. ظَلّا ساعاتٍ وَساعاتٍ،
حَتّى صَنَعا في النِّهايَةِ مُرَكَّبًا لَهُ رائِحَةٌ كَريهَةٌ تُشْبِهُ رائِحَةَ الظِّرِبانِ الدِّفاعِيَّةَ،
وَوَضَعاهُ في كُراتٍ صَغيرَةٍ. تَساءَلَ روبِلُ: "هَلْ سَيَنْجَحُ هذا؟".



وَفي الْيَوْمِ التّالي، بَعْدَ انْتِهاءِ الدَّوامِ، خَرَجَ روبِلُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ، لكِنَّهُ تَفاجَأَ لِعَدَمِ مُصادَفَتِهِ الثَّعالِبَ الْحَمْراءَ.

اِبْتَسَمَ بِارْتِياحٍ، وَقالَ: "يَبْدو أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعوا إِلى مَدْرَسَةِ التِّلالِ".

جَلَسَ في مَقْعَدِه منتظرًا قُدومَ هارونَ.



تَأَخَّرَ هارونُ كَثيرًا! قَفَزَ روبِلُ مِنْ مَقْعَدِهِ فَجْأَةً...
وَقَدْ ساوَرَهُ احْتِمالٌ أَفْزَعَهُ، وَجَرى بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ إِلى التَّلَّةِ.



حَيْثُ وَجَدَ هارونَ -كَما تَوَقَّعَ- وَقَدْ قَيَّدَتْهُ الثَّعالِبُ الْحَمْراءُ بِالْحِبالِ.
وَقَبْلَ أَنْ يَنالَ هارونُ مِنْهُمْ أَوَّلَ لَكْمَةٍ صَرَخوا:
"ما هذهِ الرّائِحَةُ النَّتِنَةُ!" وَهَرَبوا وَقَدْ تَفَرَّقوا كَالْفِئْرانِ.



وَفي الْيَوْمِ التّالي، عادَتْ كُلُّ الْأُمورِ تَسيرُ عَلى ما يُرامُ في مَدْرَسَةِ الرِّمالِ.









ثَعْلَبُ الرِّمالِ: حيَوانٌ لَيْلِيٌّ لَكِنْ، تُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ أَحْيانًا في فَتْراتٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ.

يَعيشُ في الْمَناطِقِ الصَّحْراوِيَّةِ الرَّمْلِيَّةِ وَيُرى أَكْثَرَ قُرْبَ الْمَزارِعِ.

لا يَتَحَمَّلُ العَيْشَ قُرْبَ الْبَشَرِ وَقَدْ أَدّى اِنْتِشارُ الثَّعْلَبِ الْأَحْمَرِ إِلى الحَدِّ مِنْ وُجودِهِ.

يَتَحمَّلُ الْعَطَشَ وَيَبْقى في جُحورٍ عَميقَةٍ لِتَجَنُّبِ شِدَّةِ الْحَرارَةِ.

يَتَغَذّى عَلى الْحَشَراتِ وَالْعَناكِبِ وَالْعَقارِبِ وَالسَّحالي والثَّعابينِ وَالقَوارِضِ الْمُنْتَشِرَةِ حَوْلَ النَّباتاتِ الصَّحْراوِيَّةِ، كَما يَتَغَذّى عَلى النَّباتاتِ.

تَلِدُ الْأُنْثى مَرَّةً واحِدَةً في الْعامِ، وَتَضَعُ مِنْ اِثْنَينِ إلى ثَلاثَةِ صِغارٍ بَعْدَ فَتْرَةِ حَمْلٍ تَصِلُ إِلى سِتَّةٍ وَخَمْسينَ يَوْمًا تَقْريبًا.

تَعْتَمِدُ ثَعالِبُ الرِّمالِ عَلى الْغُدَدِ الْمُنْتِجَةِ لِلرَّوائِحِ كثيرًا في سُلوكِها الْيَوْمِيِّ فَهِيَ تَسْتَخْدِمُها لِتَعْليمِ مِنْطَقَتِها وَلِطَرْدِ الضَّواري الَّتي تَقْتَرِبُ مِنْها عَنْ طَريقِ رَشِّها بِهذا السَّائِلِ ذي الرّائِحَةِ الْكَريهَةِ كَما يَفْعَلُ الظِّرْبانُ، كَما تَسْتَخْدِمُ الْأُنْثى هذِهِ الرّائِحَةَ لِتَعْليمِ الْجُحْرِ الْأُمومِيِّ الْمُسْتَخْدَمِ لِتَرْبِيَةِ الْجِراءِ، وَأَيْضًا تَقومُ الثَّعالِبُ بِتَحِيَّةِ بَعْضِها بَعْضًا بِواسِطَةِ هذِهِ الرَّوائِحِ.

وَيَنْبَحُ ثَعْلَبُ روبِلَ كَما يَفْعَلُ الْكَلْبُ تَقْريبًا.


النِّهايَةُ